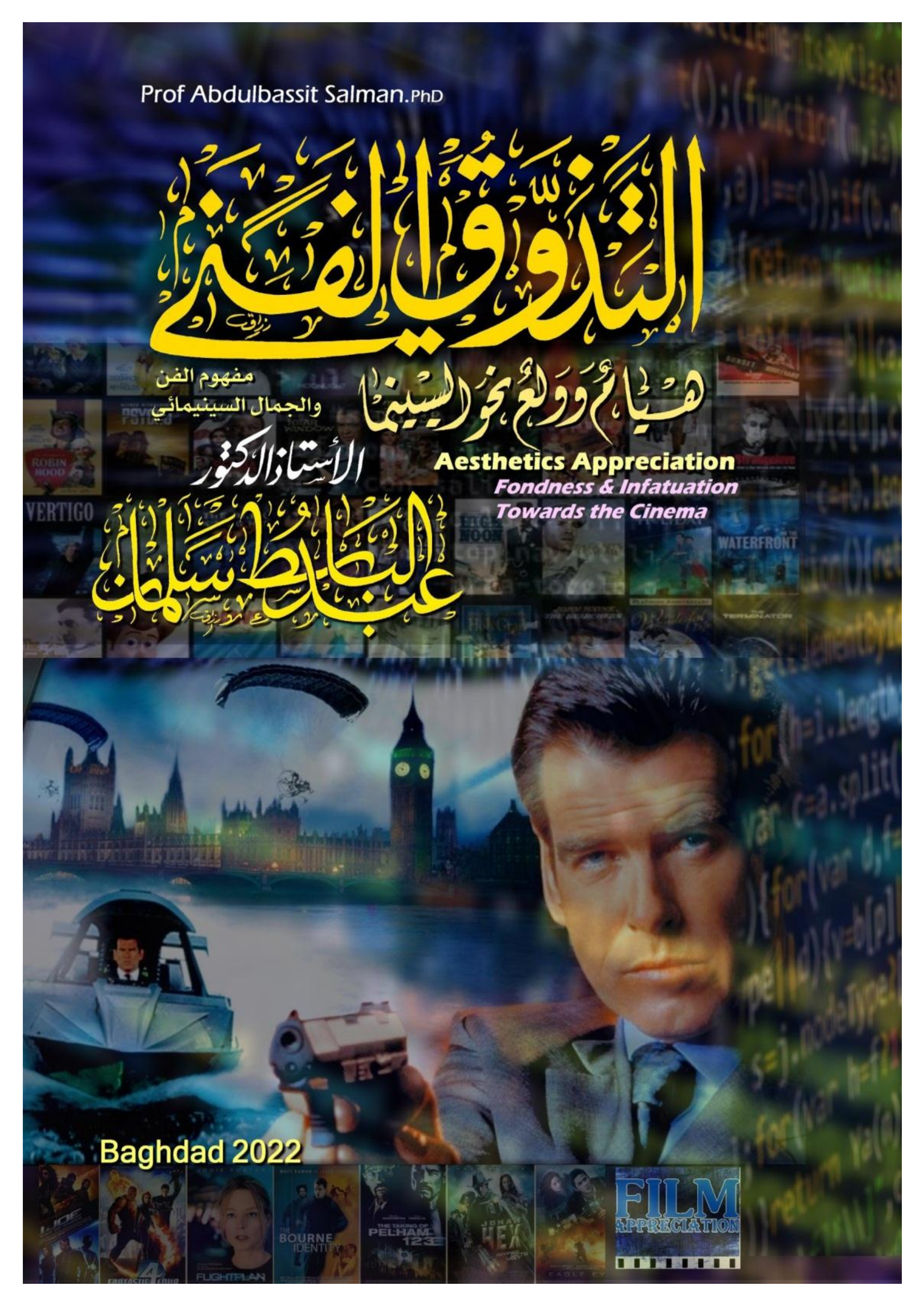


Prof Abdulbassit Salman.PhD
التذوق الفني
هيام وولع نحو السينما
مفهوم الفن
والجمال السينيمائي
الأستاذ الدكتور
عبد الباسط سلمان
Aesthetics Appreciation
Fondness & Infatuation
Towards the Cinema
Baghdad 2022
FILM
APPRECIATION



مفهوم الفن والجمال السينمائي

Aesthetics Appreciation,

Fondness & Infatuation Towards the Cinema

تأليف

الاستاذ الدكتور عبدالباسط سلمان

مؤلف كتاب الناقد السينمائي المعاصر

Prof Abdulbassit Salman. PhD

Author of the contemporary Cinematic critic

هذا الكتاب

التذوق الفني.. هيام وولع نحو السينيما

– مفهوم الفن والجمال السينيمائي

Aesthetics Appreciation, Fondness & Infatuation Towards the Cinema

تأليف الأستاذ الدكتور عبدالباسط سلمان

حقوق الطبع والنشر لمؤلف الكتاب د. عبدالباسط سلمان

عدد صفحات الكتاب ٢٠٠ صفحة

مراجعة لغوية د. ماجدة هاتو

تقديم حسين الذكر

خطوط الفنان عبدالرزاق حمودي اللامي

تمت الطباعة بمكتب الزاكي للطباعة والنشر، بغداد

Baghdad 2022

التواصل مع مؤلف الكتاب

abs@uobaghdad.edu.iq – balik692000@yahoo.com

Abdulbassit Salma 



(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإنـسان فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

صدق الله العلي العظيم - التين ٤



أهدي كل ما املك من قدرة على الاكتشاف والتأطير المعرفي الى منبع الجمال الكوني والإنساني، الأب والأم ... قيمة الجمال الالهي والحقيقي.. لا يمكن ان نتطلع للجمال مع ما يقدمه الاب والام.. هو الجمال كله في براعة الخالق ان يجعل من الأبوية طاقة كأنها قنبلة نووية تحمي المولود وتدافع عنه.. أكثر من ذلك وجدته مع ما قدموا من جميل لعبدالباسط ... الف رحمة ونور عليكم وانتم مَنْ طرزتم إبداع تكويني في اسرة شاغلها الإنسانية... سمعت بأن هناك رب ثانٍ.. هو الاب.. ما أروعه هو وما أروع أمي.. كل مكائن وتكنولوجيا الكون لا تقدر على ما يقدمه الوالدين، الأب هو هذا الرب الذي يبرع في تقديم الجمال بإيعاز من الباري عز وجل.. ايعازا كأنه طلسم لا نقدر فهمه وإدراكه بسهولة... قمة جمال الله تعالى ان يخلق أباً قادر على أن يبتكر إنسان إبداع في الجمالية.

تقديم

على منبرية الأستاذ ..

أشراقية .. ما بعد التصوير والسينيما !!

ما بين الفن الأول والسابع .. تكمن تجليات حياتية تعد بمثابة ترجمان لواقعية إنسانية فرضت نفسها كنتاج وانعكاس طبيعي لرقي الفكر .. هنا تحصر تعابير الابداع وتوابعها .. منذ عمارة الإنسان كأول انتاج لأسس المدنية على طريق الحضارة او في مقاربة تجسيد الحدث على شاشات السينما كعرض شد الانتباه واستقطب المتابع وفرض التأثير والاحترام والتعاطي بل وللاستثمار والتجارة ... وليس أخيرا التوظيف بكل معانيه، الاجتماعية ما ظهر منها وما بطن، تحت عنوان ثقافة استباقية او من اناملية الدبلوماسية الخفية وربما الخفيفة ..

من هنا وهناك تربعت السينيما طوال قرنين خلت على مشاهدات ومتابعات وتسويق الفن بما حوت من اثارة ومتعة وغوص منلوجي ذو تأثير مباشر على النفس والسلوك .. كمقتضيات وممارسة فردية وجمعية .. نجحت السينيما خلال عقود خلت بتسجيل نسب تأثير تعي معانيها الظاهرة والخفية وبياناتها الإحصائية الدوائر الموظفة .. قبل ذو الاختصاص السينمائي " كتصوير وسيناريو وتمثيل واضاءة وإكسسوار وإخراج وإنتاج ... وغير ذلك مما يدرج تحت هذا العنوان " ..

عبد الباسط سلمان الأستاذ الاكاديمي .. السينارست والمخرج والمسرحي .. فضلا عن الخبرة الإعلامية كصحفي مختمر في إنسانية يدركها الآخر منذ بواكير التماس معه .. وبعد سنوات من الخبرة والعمل الميداني والتدرج العلمي في الجامعات والتطلع لتجارب

الحياة .. التي كللها بعدد نوعي من مؤلفاته القيمة في تخصصات متعددة، جلها ان لم تكن جميعها تعد بمثابة مقدمات لسفره " الذوق السينيمائي" ..

لا اريد الإضافة ولا أستبق الأحداث الاستطلاعية لتصفح القارئ الكريم. هاوي ثقافي كان أو متزود معرفي تخصصي .. إلا اني أنصح يقين الاستمتاع على تذوق معان فصول المؤلف كوجبة مذاقية عالية البهار والابهار من طباخ فني ماهر .. استلهم روح التاريخ وتجرع مرارة الحاضر ليجهش عما يمكن ان يخفف الم المستقبل .. ليس هنا بعد افقا ميتافيزيقيا او ضرب من فن النبوءات " إن جازت المفردة " بقدر ما هي عصف الأحداث كدراما حقيقية وعملية اعتصار النفس كتراجيديا مواطن نذر نفسه لخدمة الاختصاص حد الاستغراق بالتخصص او بالأحرى في كوميديا يوميات ابكت د. عبد الباسط حد مخاض هذا السفر العراقي العربي العالمي لمن يجيد فن التغذية الروحية والفلسفية .. فضلا عن التزود من جماليات التخصص ومحاولة الانغماس في التهام المعان والجمال معا فيه ..

حسين الذكر

"قيمة كل امرئٍ ما يحسن"

الإمام علي ابن ابي طالب عليه السلام

فذلكة

الحسن والاحسان والتحسين والحسنة وما يشتق منه، هو الجمال الحقيقي للإنسان، أي أن يجيد ويحسن أدائه ومنجزاته.

نعم بهذه المقولة يمكن أن نتوكل على الله تعالى في انجاز أي عمل ابداعي متقن، في الإخراج السينيمائي وحسب ما وجدته إنما هو عملية من عمليات الاعتناء بالأشياء أو التفاصيل في الفيلم التي يمكن ان يلاحظها المتلقي فيعجب بها، أو قد تكون على العكس تماما، كأن لا تكون هناك عناية في عناصر الوسيط أو اهمال في أداء فريق العمل فتكون هناك ملاحظات سلبية على العمل من قبل المتلقي، أي أنه سيكتشف عيوب الفيلم ومن ثم يسخر منه، فقد لاحظت ان هناك كثير من الأمور التي يتم الإعداد والتحضير لها في الأفلام السينيمائية، كي تكون ناجحة، على العكس من الأفلام الفاشلة التي لا يوجد فيها أي اعتناء، ويكون قصور في التحضيرات غير الوافية، بل لم تكن مدروسة حتى، فنجد على سبيل المثال ان الممثل يخرج عن النص، فيتكلم في حوار غير ما هو مكتوب في السيناريو، لتكون هناك اشكالية بمراحل المونتاج والمكساج مثلا، أو مراحل ترجمة الفيلم، وهكذا مع بقية العناصر الأخرى في الفيلم من أزياء عبثية غير مدروسة أو أحجام لقطات دون أن تؤخذ بالحسبان، أو أن تكون الإنارة فوضوية، والعبثية تطول في صناعة الأفلام ولاسيما في الدول غير المستقرة والبوليسية، التي تقوم بتحضيرات باذخة جدا، لكنها غير وافية على الاطلاق، من حيث انتخاب من سيقوم بقيادة العمل لتظهر فضائح في اشكالات تبدأ ولا تنتهي.

الحسن والإحسان أن نحسن في كل تفاصيل السينيما، كي نصنع فيلما حسناً، من دون أي مجاملات أو وعيد وتهديد بإرهاب فكري، لفرض تقويمات خاصة لأفلام فاشلة، كما حدث مع أفلام يكون الحديث بسوء عنها كأنه جريمة، وهو القبح بعينه، والذي لابد ان يكون على العكس منه في الحسن أو الجمال الذي نحن بصدده.

في الذائقة والتذوق

اعتكفت منذ سنوات على أن أضع حدا جماليا مقتضبا في مجال السينيما، التي شكلت "Conversion" اندماجا أسطوريا ما بين فنون شتى، وربما اتحفظ على أن السينيما فنا سابعا، كونها الأهم ما بين الفنون، أراها الفن الأول الذي يتربع على عرش القيادة وفي معيته بقية الفنون لصناعة الفيلم، فهذا الفيلم يحتاج إلى كم هائل من الفنانين الكبار، والمعنيين بالجمال لخلق عمل ابداعي مثير، يستلهم ويثير انتباه الآخرين من خلال ما يعرض من فن وجمال، الجمال الذي شغل عقول المجتمعات منذ أفلاطون وسقراط حتى يومنا هذا (القضايا والتساؤلات وغيرها التي طرحها أفلاطون على لسان سقراط في هذه المحاورة، ربما كانت هي القضايا والتساؤلات نفسها التي أثارت اهتمام الفلاسفة والمفكرين والأدباء والفنانين وعلماء النفس منذ آلاف السنين ومازالت تثير اهتمامهم حتى الآن، فقد كان "الجمال" حجر الزاوية في عدد من النظريات الفلسفية منذ عصور الإغريق الكلاسيكية، وحتى أيامنا هذه[1]) والواقع إن سقراط وأفلاطون لم يكونوا مخرجين في السينيما وفق مفهوم سطحي، لكن في رائيي الشخصي أراهم عباقرة الفن السينيمائي، فأغلب الموضوعات التي تثيرنا اليوم نجدها في كتاب فن الشعر ل أرسطو وكذا مع أفلاطون، لتعكز الفنون على هذه المسلمات، التي طرحها أفلاطون و أرسطو وسقراط منذ عشرات القرون، فلا فن يمكن ان يكون بمعزل عما تناولوه في كتبهم الفلسفية التي صاغت الفن والجمال وفق نظرة عقلانية وموضوعية.

ربما تأخرت السينيما بحكم التكنولوجيا التي لم تكن حاضرة إلا مع نهاية القرن الثامن عشر، ولم تكن محظوظة مع أرسطو وأفلاطون كي يخرجوا افلاما سينيمائية مبهرة وخالدة، ولكن التعكز الذي اعتمدت عليه الفنون واحدا عل الآخر، كالفن الفوتوجرافي الذي استعان بالفنون التشكيلية والمسرح الذي استعان بمسرحيات مسرحية (اوديب ملكا

[1] شاكر عبدالحميد، التفضيل الجمالي، سلسلة عالم المعرفة ٢٧٦، الكويت ٢٠٠١ ص٧

لسفوكلس[1]) والتي تعد تراجيديا من الأدب الكلاسيكي اليوناني القديم للكاتب سوفوكليس، تم تمثيلها لأول مرة حوالي ٤٢٩ قبل الميلاد، أو أعمال هوميروس كالإلياذة والأوديسة أو مسرحية بروميثيوس المقيد لإسخيلوس أو مسرحيات اريستوفان ويوربيدس وهوميروس وما إلى ذلك، ومن ثم تأتي السينيما وكفن حديث تجمع ما بين كل الاصناف والأنواع الفنية في بوتقة فيلمية خالصة، للتتصدر المشهد الفني بما تستعرض الفنون وفق نوع وليس كم، معنى ذلك ان التكنولوجيا كانت عائقا أمام أرسطو وأفلاطون في صنع أفلامهم التي نفترض إنها ممكن أن تكون العظمى، لو توافرت حينها التكنولوجيا السينيمائية المعاصرة.

عدم إخراج أفلاطون أو أرسطو للفيلم السينيمائي، ربما يكون مدعى موضوعي لان يكونا دخيلان على السينيما التي لم نسمع أي فيلم قد حققوه، وهو الأمر الذي يكون منطقيا لان لا نعدهم سينيمائيين وفق التكنولوجيا التي نتناولها اليوم لصناعة الأفلام، فنحن نحتاج إلى أفكارهم وفلسفتهم الجمالية أو الذوقية لنربي الذائقة، ولكننا قطعا لا يمكن أن نتعلم منهم تكنولوجيا صناعة الفيلم والياته الانتاجية في السينيما والتلفزيون كفنون خالصة، وربما نستعين بهم في كتابة النص أو السيناريو من ناحية المرجعيات الدرامية فحسب، لكن الخيال والرؤيا السينيمائية قطعت اشواطا واشواط مع ما يمكن ان تفعله الحيلة والتكنولوجيا الفيلمية العصرية ولا سيما الديجيتال، التي قلبت الموازين في الصناعة، وربما احتفظت بذات الفكر الجمالي الذي نحن بصدده، ولكن لا يمكن على الاطلاق أن نفهم السينيما ونتقنها ونصنع الجمال فيها بمجرد التعكز عليهم، دون ان نستعين بالتكنولوجيا، فالعمق أو الايقاع السينيمائي عموما لا يتم دون التكنولوجيا (يعتمد الايقاع السينيمائي في عملية خلقه على مجموعة من التقنيات[2]) أي أن التقنية هي روح الفيلم، ومن دونها ينعدم الفيلم .

[1] Ahl, Frederick. Two Faces of Oedipus: Sophocles' Oedipus Tyrannus and Seneca's Oedipus. Cornell University Press, 2008. page 1

[2] حسين السلمان، مقدمات سينيمائية، دار الجواهري للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد ٢٠١٣ ص٣١٥.

لما كان السينيمائي قائدا لمجاميع الفنانين المتعددين والمتنوعين في الفن، معنى ذلك أن السينيما لا يمكن أن تكون مجرد "الفن السابع" بمرتبة سابعة أن فرضنا أن تسلسلها كان وفقا لزمن ظهورها نهاية القرن الثامن عشر، والتي تأخرت بذلك عن باقي الفنون كفنون المسرح والموسيقى والرسم إلخ، ولأن السينيما جمعت أنواع من الفنون فهي بالتأكيد مسؤولية عظمى لان يكون القائد أهلا لهذه المنزلة، أي إن المسؤولية عظمت وتوسعت لتكون أكبر مما نتوقع مع باقي الفنون، فهو مسؤول عن مسألة تبعث الجمالية أو الراحة النفسية بكل عناصر الوسيط السينيماتوجرافي، كالتصوير أو الاضاءة أو الأزياء أو المونتاج الح، وهنا نستذكر ما جاد به أحمد الحضري (عملية الجمع بين عناصر المنظر ومكوناته في علاقة منسجمة تشكل توازنا مريحا، بحيث يتمتع المتفرج بإحساس من الراحة يسبب له أعمق المشاعر وأقل مشقة، ولتكوين مؤهلات مرئية تتمثل في الشكل والتوزيع السليم للضوء والظلال والإيقاع والتوازن[1]).

السينيمائي ينبغي أن يكون أسمى وأرقى من كافة الفنيين في الأنواع الأخرى، ولربما يتصوره البعض هذا الأمر هو انحياز نحو السينيما، في الوقت أنا أراه مسؤولية معقدة للغاية تتطلب الجهد والمتابعة المران والتجربة والخبرة والدراية والفطنة والذكاء والإدراك والإحساس والخيال والافتراس والحكمة والحلم، وربما أمور أخرى كثيرة جدا لا يمكن حصرها، وكي أوضح أكثر وأكون صريحا ودقيقا، أقول أن السينيمائي الحقيقي، هو من يقدر على التمثيل في المسرح والعزف على آلات الموسيقى والرسم والتلوين ويكون مهندسا قادرا على بناء منزل ومنظر وديكور، ويكون ماكيرا بارعا ومصمما متميزا في الأزياء ومهندسا للصوت، يجيد السباحة والفروسية والمبارزة، مثقفا واعيا بل موسوعيا، وأكثر من ذلك كي يستحق أن نطلق عيه "مخرج سينيمائي".

---

[1] أحمد الحضري، فن التصوير السينمائي، بيروت، لبنان : المركز العربي للثقافة والفنون، ، ب. ت، ص٨٥.

البحث عن الجمال

المهمة ليست بالهينة أو الميسورة للكل، ولا تتاح لأي شخص إلا من يمتلك مواصفات من الجمال، لقد اثبتت التجارب ان قيمة الجمال لا تكمن في الجمال نفسه فحسب، بل بالقدرة على ابتكار أو اكتشاف الجمال، فهناك كثير من الجماليات أودعها الباري عز وجل في مكنونات خلقه المتنوع والمتعدد الذي لا يمكن احصائها، نراه كل يوم هنا وهناك، ولكن لا نفقه تسبيحه ولا تجلياته، ولا نفكر كيف خلق وانشأ، من هنا نكتشف حقيقة الجمال، الخالق هو الجمال أولا، هو الذي أبدعَ الجمال، صيره وأحسن خلقه، نرى فتاة جميلة ونعتقد إنها جميلة والواقع إن الجمال فيمن خلقها، فالفنان الخالق هو الجميل اولا، وكل ما يأتي منه جميل، بمعنى لا تكون قادرا على صنع الجمال ما لم تكن جميلا، ولا احد يقول لي ان هناك وجهه قبيح ولكنه يبدع في خلق الجمال برسم لوحاته، الوجه القبيح هو جزء من اجزاء كثر في الإنسان، والإنسان جملة من هذه الأجزاء التي ربما فيها القبيح وفيها الجميل، للنظر الى الجمال الآخر في الإنسان.

مرحلة التذوق هي بعينها الترقب والترصد نحو ما يمكن أن يكون جميلا، وكيف لنا أن نميز ما هو جميل عما هو قبيح، الأمر يتطلب تعمق في علم الجمال، إذ (ظهر علم الجمال أو "الإستاطيقا" كمصطلح لأول مرة خلال القرن الثامن عشر من خلال الفيلسوف بومجارتن، وأصبح هدف هذا العلم محاولة وصف، وفهم، وتفسير الظواهر الجمالية والخبرة الجمالية. أنه ذلك الفرع الذي نشأ أصلا في أحضان الفلسفة، وترعرع وبلغ أشده في ظلالها، ثم جاءت فروع معرفية أخرى بعد ذلك، كي تنعم بهذه الظلال، وتساهم في سقاية هذه الشجرة الوارفة المتألقة لعلم الجمال، وأن تضيف إليها فروعا جديدة[١]).

---

[١] شاكر عبدالحميد، التفضيل الجمالي، سلسلة عالم المعرفة ٢٧٦، الكويت ٢٠٠١ ص٨

أن نكتشف الجمال لندعمه ونكشف الضعف كي نتجنبه، وهو بطبيعة الحال ليس عملية نقد كما يظن البعض، فهناك فرق (لا بد من التفرقة المرحلية بين الذوق والنقد، أو بين التذوق الفني والتقييم النقدي، فالتذوق احساس.. مجرد احساس، أما النقد فنوع من المعرفة يقوم على العلم، والنقد لا بد أن يسبقه تذوق، أما التذوق فلا يسبقه بالضرورة نقد فني، وانما تبدأ عملية النقد الفني بعد أن تنتهي مرحلة التذوق[١])

قد يكون التذوق موضوعا جدليا لدى البعض ممن ينحاز إلى العقل فيه على حساب العاطفة والمشاعر، في الوقت ان هناك من يرى على العكس، بأن تستحوذ العاطفة أولا قبل العقل، وهنا لابد للإشارة إلى إن اصل كلمة تذوق تعود إلى الفنان والناقد الفرنسي لابروير وذلك في القرن السابع عشر إذ يعد أول من استخدم التذوق في كتابه الطبائع ٢، فقال أن هناك ذوقا ممتازا و ذوقا سيئا. و عرفه "جوزيف أديسون" في كتابه " المشاهد" عام ١٧١٢ بأنه ملكة النفس، تملأ جماليات المواقف بالبهجة و اللذة، عاداً بذلك ان العواطف واللذة والاحاسيس التي يشعر بها المتلقي للموضوع الجمالي، هي أساس للتذوق، وهو ما وجدته مناسبا للتذوق السينيمائي، والتي لم يكن يعتلي ركبها إلا من هو متعلق بها.

التذوق والذوق السينيمائي لا يمكن أن يكون بمعزل عن الهيام أو العشق والولع الذي يحقق الدراية والمعرفة والانتماء للفن السينيمائي، ولا داعي أن نذكر إن كبار الفاشلين في السينيما، قد امتطوها بحثا عن المال أو الجاه أو الشهرة المزيفة، فالقائمة تطول بأسماء كثيرة حاولت الالتماع والتبرج بما تحمله السينيما من أهمية وانتشار ودور هام في المجتمع، ولاسيما ممن لهم يد طولى وعلاقات عبر الاحزاب الفاسدة وفق منظومات ايدلوجية تحطم الآمال السينيمائية، وهو ما كشفت عنه التجارب الفاشلة في أغلب الدول الدكتاتورية، التي تعتمد صلة القرابة والمحسوبيات الشخصية في قيادة المنظومة السينيمائية، خوفا منها، بزج كما هائلا من الجهلة والاميين كجواسيس على الإبداع والفكر السينيمائي.



[١] زكي نجيب محمود،

[2] Look R.GARAPON, Le

تعريف التذوق

لقد ورد تعريف التذوق كثيرا في المصادر العلمية عل أنه تفاعل أو احساس بالجمال أو لأي موضوع يتأمله المتذوق أو المعني بالتذوق، وارتبط بالمشاعر والوجدان وكذلك ارتبط بالتقييم أو النقد والفلسفة، فهو أمر كثيراً ما يتنقل أو يتفاعل مع عدد من المجالات المختصة بالفن، وربما يحاول البعض جرفه نحو الأدب أو نحو موضوعات فضفاضة لا يمكن أن تكون جزءاً من السينيما أو من التذوق الفني السينيمائي الذي نتناوله كمفهوم وفق محددات السينيما، وليس الأدب والشعر والرسم والبلاغة والنحو إلخ من تفصيلات أخرى، وكي نعي تماما ما نذهب إليه في هذا الحيز الذي اتوسم ان اتوخى فيه الخلط مع باقي التخصصات ذات المنحى غير السينيمائي، سأتعرض هنا إلى مفهوم التذوق أو كلمة التذوق كمفردة من المفردات التي يتم تناولها عالميا، ووفق الترجمة الدقيقة للتذوق مع باقي المفردات التي ترتبط ومفردة اسمها تذوق، وكي نفهم ونعرف التذوق سأستعرض ما اقتربت منه باقي المفردات إليه، وهي كما يأتي:-

١. "Appreciation of art" تقدير الفن ويمكن ان تكون اعتزازاً أو إدراكاً أو إعجاباً أو منح قيمة وثمنً عالياَ إلى الفن.
٢. "Dilettantism" الهواة – عاشقو أو محبو الفنون.
٣. "Taste of Arts" تذوق الفن، ذاق الفن، تذوق قليلا طعم الفن، نكهة.
٤. "Aesthetic sensibility" الإحساس الجمالي، نحس به أو نتحسس بالجمال.
٥. "Relish of Arts" تمتع بالفنون أو استمتع، تلذذ، تنكه نكهة، ستذاق، أعجب، سحر، انجذب نحو الفن، اشتهى، تتبل توابل.
٦. "Enjoy with Art" استمتع بالفنون، تنعم.
٧. "Connoisseur of Arts" متذوق للفن، خبير في الفن، واعي للفن أو مدرك له.
٨. "To pree of Arts" افترس الفن، اكتشف أو حزر، استشرف نحو موضوع ما في الفن.

٩. "Savor of Arts" تذوق الفن، شم رائحة الفن، طعم الفن أو استطعم، نكهة.

إزاء ما عرضنا نستشف ان مفهوم التذوق يرتبط بجملة من المفاهيم والمصطلحات التي لابد ان نقترن بها كي نعي تماما ما هو التذوق، وبمعزل عن التعريف الجاهز للتذوق يمكن ان نفهم بأن التذوق يرتبط بالذائقة والنكهة والطعم واللذة والوعي والافتراس والاعجاب والإحساس والعشق والحب للفن والجمال عموما، ولتقريب وجه نظري للقارئ أتوسم أن نربط هذه المفردات بعضها بعض لنثمن التذوق الفني أو تذوق الفنون أو الجمال، فهناك فيض من المداخل نحو التذوق يحاول أغلب المنظرين أن يقحموا خلجاتهم وتصوراتهم الشخصية وفق دراسات فضفاضة يصعب إدراكها لكثرتها ولتعدد الآراء فيها، ومن ثم حدوث الرتابة والنمطية في كتل قاموسية تحاول الاقتران بمفاهيم لغوية وأدبية وربما اجتماعية، مبتعدة بذلك عن أصل الفن، لذلك نجد ان هناك عمالقة في الإبداع والفن، يرفضون هذا الأسلوب الفضفاض، ويحاولون تبسيط المفاهيم الذوقية، نحو رؤيا صريحة مبسطة غير منمطة أو متشعبة، بل غير متعكزة على طروحات لسانية فحسب، وذلك لغرض عدم الدمج ما بين الإبداع في الفن، ومجالات أو مقتربات لا تمت بصلة بالفن الا من بعيد.

الواقع ان ما تعرضت له لهذا المفهوم في التذوق قد يكون شاغلا لذهون وأفكار كثير من المختصين في هذا المجال، حيث وجدت ان هناك الكثير ممن يسعون لتحديد المفهوم في التذوق كونه مترابط أو متشابك مع عناصر أخرى، لذ البعض ذهب إلى تحديده وفقا للترجمة التي بادرت بها آنفا كي يقف عند تحديد معين (التذوق "Appreciation" وكلمة ذوق "Taste" إذ إن التذوق هو: حكم، تقييم، معرفة القيمة "يدرك القيمة، إعطاء قيمة الشيء أما كلمة "Taste"، فقد وردت بمعنى القدرة على الإستمتاع، وردت الكلمتان في القاموس العصري ١٩٨٦ كما يأتي" Appreciation معرفة قدرة وقيمة الشيء إعتبر، أعجب"، أما كلمة Taste فتعني ذوق، طعم، حاسة الذوق ذاق، وقد وردت الكلمتين في معجم الرافدين، كما يأتي:

Appreciation قدر الشيء حق قدره، بارك، أرتفع يذوق، يكون ذا طعم معين، حاسة الذوق طعم معين، حاسة الذوق طعم نكهة[١]).

التذوق اتصال

لا بأس أن نذكر بعض ما تعرض له المختصين في وضع مفهوم للتذوق وللجمال، وهنا اربط بين التذوق والجمال، كون ان المفردتين لهما علاقة في ما يدفع الإنسان نحو التأمل أو التعرض غير النفعي لأي موضوع أو عمل يحقق متعة أو لذة بمجرد ان نلتمس أو نتحسس معالمه أولا لنغوص في ثناياه فتتحقق نشوة عبر الاستمرار والتواصل مع العمل أو الموضوع الجمالي أو الفني، فالتذوق عموما يرتبط بعدة مفاهيم وعدة مجالات منها الرسالة والمتلقي والمرسل والنقد والحالة النفسية والانتماء والميول والتأمل والخيال، وهو مرتبط أيضاً في التقدير الجمالي الفني، أو الإحساس بالجمال، أو الموقف الجمالي، أو الحكم الجمالي.

عرف البعض على ان التذوق إنما هو (عمليةٌ تفاعليةٌ مشتركةٌ قائمةٌ بين أربعة عناصر "المتذوق، والفنان، والناقد، والعمل الفني، أو بين المرسل، والمتلقي، والرسالة، والوسيلة" عملية تأملٍ وتمحيصٍ وتدقيقٍ لإبراز القيم الجمالية والنواحي الفنية في الأعمال التشكيلية. عمليةٌ داخليةٌ تحدث في داخل المتذوق "المستمتع" من خلال التفاعلات الانفعالية والنفسية والذهنية والخيالية والتي تهز مشاعره ووجدانه عند رؤيته لعمل فني ما[٢])، وهنا نتحول نحو مفهوم اتصالي للتذوق الجمالي، أذ ان هناك اطراف لابد من توافرها كي يتحقق التذوق، والتذوق لا يمكن أن يتم بنعزل عن الاتصال الوجداني للمتذوق ومع ما يتعرض له من فن أو جمال، فالتذوق إنما يتم من خلال التواصل أو الاتصال بين المرسل والمستقبل، وقطعا هناك الوسيط الذي نعني به العمل الفني، وهنا نستشف بأن (عملية التذوق الفني يمكن اعتبارها عملية اتصال أو ملاءمة بين طرفين: الطرف الأول هو الفنان ممثلا في أعماله الفنية، والطرف الثاني هو المستمتع الذي ينظر إلى هذه الأعمال ويحاول أن يستمتع بها[٣]) .

---

[١] ماضي حسن، الفن وجدلية التلقي، دار الفتح للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٢٩ ص٤٦.

[٢] سلطان بن حمد محمد الشاهين، برنامج تعليمي مقترح في التذوق والنقد، رسالة ماجستير، جامعة ام القرى، مكة المكرمة ٢٠٠٦ ص8، 16.

[٣] حمدي خميس، التذوق الفني، المركز العربي للثقافة والفنون، القاهرة ١٩٧٥ ص١١.

الفوضى العارمة التي يشهدها الموقف المعاصر، خلطت الأمور كثيرا، فأنجبت سيل من النصابين والمحتالين المخادعين، ممن أقحموا أنفسهم وفرضوها وفق موصوف ينعت به ذاته على أنه مخرج سينيمائي، لتكتظ الساحة وتغص بأعداد مهولة من الأسماء الوهمية على منصات التواصل الاجتماعي ولاسيما الفيسبوك في مشتركين تحت مسميات السينيمائي أو المخرج السينيمائي، لنجد أن كثير من أطلق على نفسه هذه التوصيفات اللامعة أو المبهرجة، فبعد أن اختزلت التقنية الديجيتال الملتيميديا، انتشرت برمجيات كومبيوترية متعددة، تقوم على صناعة الأفلام بسهولة بالغة بالتوافق مع أجهزة الموبايل التي كانت حبلى في منظومات وتطبيقات وتحسينات وستورات وبوستات تفصل وتزخرف وتلمع وتجمع وتقطع وتلصق وتصور، لتنتج لنا مقاطع فيديوية بالغة السهولة، توهم الكثير بانه قد أصبح مخرجا مع قدراته في عمل مثل هذه المقاطع التي تحتاج ذكاء محدود وقدرات سطحية في فهم لغة الموبايل، لينشئ له قناة خاصة على الـ "YouTube" تحت مسمى مخرج سينيمائي، ومن أولئك من هو مقرب لي وهو لم يتجاوز عمره ثمان سنوات، وراح البعض منهم يدعو أنه "يوتيوبر" وهي بالتأكيد أهون بكثير من كلمة مخرج سينيمائي، بل وارحم أيضا.

ما يعنيني هنا إن المختصين بالسينيما عليهم أن يدركوا حق الدراية التامة ان هناك معترك بالغ الصعوبة عليهم أن يقتحموه ليستحقوا نيل لقب مخرج سينيمائي، هذا المعترك ينبغي أن يعزز بفيض من القراءات الجادة والتدريب والتطبيق العملي على فق نهج أكاديمي متدرج، يتناول فيه الطالب دراسات الفنون كافة المسرح والتصوير والجرافيك والموسيقى والديكور والخط والزخرفة والأزياء وكل ما يتعلق بذلك، كي تنمو لديه ذائقة سينيمائية موسوعية غير ناقصة، إذ إن المخرج السينيمائي وبحكم إنه صاحب رؤيا ومسئولية وخيال وتوجيه وتفكير لتقديم الحلول الناجعة، فهو ملزم بالإلمام التام لكل هذه التفاصيل التي نتحدث عنها، وبغية تحقيق ذلك كان عيه الولوج الحقيقي بأعماق الفنون والتخصصات المرتبطة بصناعة الفيلم السينيمائي، عدا ذلك فانه سيكون كسالف المخرجين السذج ممن كبلوا مؤسسات السينيما خسائر كبرى.

وجدت ان تناول الفنون الكافة في هذا الكتاب قد امرا يكون مناط بجملة من التحديات التي قد تكون صدمة لأغلب الحالمين أو الراغبين امتطاء السينيما في وقت أو مدة قصيرة، فخلال تجربتي التي إمتدت زهاء اربعة عقود ما بين الدراسة والتعلم والتطبيق والتجريب السينيمائي، اكتشفت ان الخبرة تلعب وتشغل الحيز الأكبر في الابداع، فلا تكفي موهبة دون دراسة وتعلم، ولا يكفي تعلم دون تطبيق وتجارب، ولا تكفي التجارب دون وعي وخيال لتطوير العمل، وامور شتى كثيرة جلها لا تكفي ما لم تتكامل الضوابط أو الشروط التي ينبغي ان يتمتع بها السينيمائي كي يكون ناجحا أو مبدعا، إذ إن أغلب العمالقة ممن تابعت مسيرتهم السينيمائية، لاحظت ان كما هائلا من المواهب والدراسات والتطلعات والتجارب قد خاضوها خلال مسيرتهم، وهذا الأمر بالطبع لا يقتصر على السينيمائي فحسب، بل على المبدعين الكبار في الموسيقى أو الرسم أو المسرح، فبمجرد ان نقرأ سيرة فنان مهم ومؤثر ناجح، نكتشف إن تاريخه حافل بسيل من المواقف الغريبة أو ربما بالمعاناة في التعلم والتدريب والتطوير.

لو تناولنا مثلا فنا ... وسيقار
العالمي موريس جار ... ، كأن
تعلم العزف على ال ... زوجها
موريس بعد ولادة ... سيقى،
حصل على الدك ... قي له
" Oxygen" عام 1976 وهو في السابعة عشر من عمره في أستوديو بسيط بمنزله وقد حقق انتشاراً واسعاً ببيع ملايين الاسطوانات الموسيقية على مستوى العالم حينها، عزف على الجيتار وعلى الاوركديون وعلى القيثارة الليزرية، اخرج حفلاته الموسيقية بنفسه باستخدام احدث ما توصلت له التكنولوجيا من هولجرام وليزر والإنارة البروجيكتور، قام بأكبر حفلات موسيقية بالتاريخ على الهواء الطلق بحضور ما يقارب ثلاثة مليون ونصف مشاهد في موسكو وبعدها في الصين بحضور ستة مليون على باركات كبيرة، اعتمد على

عروض بصرية مرافقة للموسيقى التي يقدمها، درس الموسيقى السيمفونية والأوركسترالية، حصل كم كبير من الجوائز العالمية عن أعماله.

من المواقف الطريفة التي تثبت وزن وحضور جان ميشيل جار كفنان مهم ومثمر ومبدع وأهمية وقته، أنه خلال إحدى الأيام وهو يعد ويحضر عرضه الموسيقي بالصين أبلغه مدير أعماله بأن زوجة الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك طلبت لقاءه، فقال له ألم تَرَي بأني مشغول جدا الآن ؟ ولكن انتظر هي السيدة الأولى في فرنسا... حسنا سأوافق على مقابلتها لكن في المصعد الكهربائي لمدة أربع دقائق فقط، وحدث ذلك خلال نزوله من الطابق العلوي في فندق وهو يذهب لإعداد التحضيرات، وقد ظهرت السيدة مسرورة وفرحة بهذا اللقاء.

ضوابط وعناصر التذوق

جملة من الخواص التي لابد من ان تتسق بالمتذوق والتي تناولنا اغلبها وبينا اهميتها، إلا ان هناك الضوابط أو عناصر أساسية التي لابد ان تتوافر كي تتم عملية التذوق، والتي يمكن ان توجز بثلاثة عناصر مهمة لا يمكن أن يستغنى عن واحدة منهما، وهي كما يأتي:-

١. العمل الفني اي الموضوع الجمالي الذي يتعرض له المتذوق والذي يكون محور وأساس للعملية عبر ما يمثل من جوانب جمالية أو فنية إبداعية، إذ لا بد أن يكون مؤثراً لمجموعة من المتلقين ممن سيتأثرون كل حسب ميوله وثقافته.

٢. منجز العمل الجمالي الذي نطلق عليه الفنان، فهو من سيقوم بإنتاج العمل الجمالي الذي سيحقق غاية للمتذوق كي يتأمل العمل ومن ثم يتعاطف معه ويتحسسه ويدركه، وهنا لابد وأن يكون العمل المنجز ذا تأثير وأهمية وابهار للمتلقين كي يمكن ان يتذوقوا، كون ان المنجر لا تكون له أهمية ما لم يكون هناك متلقٍ يتقبله ويتعامل معه على أساس جمالي أو على أساس أنه عمل ابداعي.

٣. المتذوق الذي سيتقبل العمل الجمالي أو الابداعي كما ذكرنا في الفقرة ٢ إذ ان العملية ستنتفي برمتها ما لم يكن هناك متذوق يتعاطف ويتحسس ويمنح قيمة للعمل، بل إن المتذوق أساسا سوف لن يقدم على عملية التذوق ما لم يجد عمل يتفاعل معه، وهذا الأمر يمكن أن يكون على العكس تماما أو ذوي حدين كما نقول "لا دراما من دون صراع ولا صراع من دون دراما" اي ان لا تذوق للجمال من دون متذوق ولا متذوق من دون تذوق للجمال.

العناصر الأساسية لعملية التذوق

١. العمل الفني (الشيء نفسه) لا بد أن يكون مؤثراً لمجموعة من الأشخاص .
٢. الفنان الذي ينتج العمل (ليس له أهمية من دون الشخص المتذوق .
٣. شخص متذوق (ليس لـه أهمية من دون العمل الفني) .

خصائص ألمتذوق

١- يجب ان يكون لديه الاحساس بالجمال
٢- أن يكون لديه استجابة للمثيرات الجمالية .
٣- لديه تفضيل جمالي .... يرفض القبيح و يقبل الجميل .... .
٤- لديه القدرة على إصدار الحكم ..... و يكون لديه مصداقية .

العوامل التي تجعل الفرد يتمتع بحس جمالي

١- الثقافة الفنية:

هي أولى العوامل وهي مهمة جداً للشخص لأنه لا يتمكن من أن يكون لديه ثقافة.

٢- معرفة الاتجاهات الفنية:

معرفة الشخص للاتجاهات الفنية تمكنه من نسب الأعمال الفنية إلى أي اتجاه و معرفة خصائصها و قيمتها.

٣- يجب معرفة سمات العصر و المكان الزمان و المكان، ويجب أن يفهم أيضاً سمات العصر و المكان وهل يخص عصر متكامل.

٤ و أيضاً اختلاف العقيدة و اختلاف العادات ... إذا فهمنا الوضع في المكان نعلم لماذا رفضوا هذا و قبلوا هذا .

٥- معرفة طرق الأداء و التقنيات و أسباب الاختلاف بينها .

بعض التفاصيل الدقيقة التي يتمتع الفنان المبدع، قد تبدو انها ل تستحق الذكر على اعتبار ان أي إنسان يتمتع بها، والواقع إن على الرغم من بساطة ما يتصوره البعض، إلا انها في التجريب تكون عسيرة جدا على غير المختصين، فهناك لمسات سحرية بارعة للمبدع في ان يحقق الجمال، وهناك النظرات الخاصة أو التأملات وهي قراءات ليس كباقي القراءات للمشهدية، يتمكن من التقاطها واعادة تصويرها وفق تنظيم أو عناية أو تنسيق أو إعادة تركيب وإنشاء جديد (الأبداع الفني يخلق صورة جديدة تتوافر فيها الصفة الجمالية، وهو يقوم على أساس من عمليات الاختيار والتفسير والتنظيم١) أي ان للمبدع نظرات تقويمية تكون عل قدراته في التحليل والتفسير المنطقي أو الموضوعي في التنفيذ.

قد يطرأ على بال القارئ ان ما تناولناه قد يبدو امرا بديهيا أو انه طبيعيا، إلا ان الحقيقة لا يمكن لمسها، إلا مع ارض الواقع في مراحل الانجاز، فالميدان هو من سيكشف لنا الاحاسيس أو المشاعر التي لابد ان يتمتع بها الفنان المبدع ولاسيما في العالم السينمائي الذي يكون بالأساس مبني عل الخيال، وما تطرحه أحاسيسنا من رؤى وقادة (أن احساسنا البصري بالعالم المحيط بنا هو الذي يشكل أساس اللغة السينيمائية٢)

---

(١) عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٩٨٦) ص٢٥.

(٢) يوري لوتمان، قضايا علم الجمال السينمائي، مدخل الى سيمائية الفيلم، ترجمة نبيل الدبس، مراجعة، قيس الزبيدي، المؤسسة العامة للسينما، دمشق، ٢٠٠١) ص٧١.

نظرة أفلاطون إلى الجمال هي نظرة تأملية تدعو إلى عالم المثل والمثال الذي يخلو ويتجرد من أي متعلقات بالحس أو بالمادة، ان الجمال عند أفلاطون، جمال رومانسي يسمو عن كل شكل حسي ليرفض الوجود المادي ويتجلى إلى عالم المثل[١].

(الجمال نسبي عند الشعوب كما أنه نسبي عند الأفراد حسب بيئتهم وثقافاتهم وتراثهم وحضاراتهم وكل هذه العوامل يجب ان يحسب لها حساب حتى ينجح الفنان في ألباس أعماله الفنية روح القبول والرغبة النفسية عند المشاهدين[٢])

(الخلاصة الفكرية والتكوينية للرؤية الخارجية من ذات الفنان إلى الحياة العامة، وهي وليدة أفكاره ونزعاته على اختلاف اتجاهاته، وهو يمثل عواطفه ونضوجه ومدى قابليته التطبيقية التي أوصلته إلى هذا المستوى من الإخراج والأداء، وهو يمثل شخصيته بما فيها من ذكائه ومهارته وعمله وعواطفه وأحاسيسه ونزعاته السياسية والاجتماعية وانتماءاته المثالية وقدراته على الأداء والإبداع والشعور بالعاطفة والحس الجماليين ومدى ما يبدع من رؤى جديدة ومتطورة [٣]).

الذّوق أو التذوق هو مجرد احساس أو شعور يتوقد لدى المتلقي أو المتعرض للعمل الابداعي والجمالي، ويثير وجدانية في خلجاته ازاء تفاصيل في العمل المعروض، منطلقا نحو تقييم أو تحكيم بمقياس ذاتي وفق ما يمتلك من خبرة أو تطلع أو ربما ممارسات منحته الدراية والمعرفة بالأشياء، ليحكم عبر الوجدان الذي يتمتع به على أي عمل يثيره، ومن ثم يسعى نحو تحديد جملة من الملاحظات في ذهنيته أولا ومن ثم يدونها لربما ان تطلب الأمر، مشيرا بذلك نحو المزيد من مواقع الضعف أو القوة في العمل، دون ان تكون له انحيازيات مادية أو منفعية كي يميل لعمل ما على حساب اخر، وفق حالة من القصدية أو العمدية في منح تقييم مزيف أو غير دقيق، دون أن يتأثر بعواطفه وملذاته التي يمكن ان تفسد حكمه، أو دون

---

(١) انظر نجم عبد حيدر، علم الجمال أفاقه وتطوره، ط٢، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ٢٠٠١، ص٩٨.

(٢) فرج عبو، عناصر الفن، ج٢، بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ايطاليا : دار دلفين للطباعة والنشر، ، ١٩٨٢، ص٨٠٢ .

(٣) فرج عبو، عناصر الفن، مصدر سابق، ص٧٦٧ .

ان يميل نحو العمل الذي يتعرض له عبر شعوره بالارتياح أو عدمه، فهو على الأغلب يقترب من عمل الناقد الفني وما هو بناقد في كل الاحوال، ولكنه يتحسس ويقيم وفق مبادئ النقد، إذ ان النقد يتجلى من المنافع الذاتية ويترفع عنها، وكذا مع التذوق تكون فيه المصالح الشخصية مرفوضة كي يتمكن من إصدار الحكم على العمل الفنيّ دون انحياز أو ميل بل أنه يحدد كل ما يرى أو يلاحظ من إيجابيات أو سلبيات، إذ يذكرها المتذوق للفن أو الناقد أو الفنان ليشجع صانع الابداع كي يطور عمله، في الوقت الذي يذكر إن له سلبيات العمل بغية تجنبها في أعماله القادمة أو تصحيحها مثلا أو تحسينها وتعديلها في مسعى منه نحو تلاشي ما هو يراه غير مفيد أو غير مجدي أو ما هو خطأ في الأعمال الأخرى.

يمكن ان نستشف مما ذكر أعلاه بأن المتذوق يمر بجملة من الحالات أو المراحل التي يمكن ان تتدرج بعضها مع بعض لتولد لنا ذائقة صائبة غير مزيفة، وذلك عبر جملة من مراحل التذوق الاتية:-

١. التوقف، تتم عبر عملية المثول أمام شيء غير مألوف مثل المشكلة الجمالية.
٢. العزلة والوحدة مع العمل الفني
٣. الإحساس والإدراك الحسي عبر الحواس
٤. الموقف الحدسي، وهو قد يكون تقدير المتلقي للموضوع أو النفور منه
٥. الانطباع الوجداني، أي ما يتصل بالمشاعر المثارة نتيجة للرؤية.
٦. التداعي، هو ما يثيره الموضوع تجاه المتلقي في ان يتعاطف أو يبتعد عه.

الواقع إن المراحل الآنفة إنما تنطبق في كل الأحوال مع الأغلب المتذوق الواع، ممن يؤمن بالعملية الجمالية، متعاطفا مع الموضوعات الجمالية التي لابد ان يعدّها، من كوامن وادبيات مهمته الجمالية أو المتذوقة، فهي قد ترتبط بأغلب المبدعين الفنانين، ولكن الأمر لا ينحصر على الفنان فحسب، بل هناك من هو متذوق ويعشق الجمال ولكنه لا يمتلك المقدرة ولا الموهبة الكافية التي يمكن ان ينجز فيها أعمالا فنية أو جمالية بارعة.

الفنان المتذوق

قد لا يرنو لبعض من يجدون ويفرضون انفسهم سيمائيين مع ما ذكرته في كتابي "محاضرات في السيميولوجيا" من تطفل ودخلاء على مجال السينيما كناقدين أو كمخرجين، من خلال انتماءاتهم اللا جمالية، بل بحثا عن سطوة وهيمنة على حقبة من مشاهير وقادة المجتمع المبدعين (سطوته وعلاقاته الفاسدة تمكنه من أن يكون القائد في الفيلم أو النجم الأشهر له، وربما أنه بذات الوقت لا يمتلك القدرة أو الجرأة في أن ينتج فيلما سينيمائيا بالغ التكلفة، وأيضاً أنه لا يحتمل أن يرى من جاء بعده كي يسرق الأضواء والشهرة عبر السينيما وهو الذي كان بالأمس نجما لامعا ضمن البلاط الملكي، أو صحفيا مهما أو نجما من نجوم الأدب[١]) ما هو أغرب وجدت نفسي أمام حيرة من بعض أولئك وانا أحلل أو اقدم رأي نحو موضوع ما في السينيما، وكأنني ارتكبت خطأ كبير، في الوقت الذي إني لم اتناول إلا في امور واضحة وجلية لمن هم مختصين بالسينيما، الأمر الذي وجدت فيه استحسان مع من هم مبدعين في السينيما، والأمر يعود للإلهام والهيام في السينيما، فمن انزعج مما كتبت لم يكن يوما عاشقا للسينيما بقدر ما كان يمتهن التلفزيون والسينيما كعمل أمني مخابراتي، بالوقت ان من تقبل موضوعي كان مولعا ومتعطشا لأي موضوع أو تطلع في السينيما.

بحكم تجربتي مع الجمال وتحديدا الجمال السينيمائي، وجدت ان مسائلة حتمية تكون الدافع الاهم للمتذوق، وهي إن يكون متيماً بالجمال ومولعاً بالإبداع، هائم بكل موضوع احساسي جمالي مميز، فالهلع والولع السينيمائي لا يتحقق الا مع من عشقوا السينيما، وهو الأمر ذاته مع باقي الفنون والجمال، فلا يمكن لأي نحات مثلا ان يبدع وهو لا يعشق النحت والجمال، فنراه مولهاً وهائماً مع كل موضوع يكون النحت جزء منه، لذا نكتشف إن أغلب عباقرة السينيما كان لهم عشق لأشرطة السينيما، فيذكر المخرج الأمريكي "سوري الاصل" المرحوم مصطفى العقاد بإحدى اللقاءات أنه مذ كان طفلا كان يترقب ويتابع ما

---

[١] عبدالباسط سلمان، محضرات في السيميولوجيا والايقاع السينيمائي، كلية الفنون الجميلة بجامعة بغداد ٢٠٢١ ص١٢.

متعلق بـ"Moves Projectors" العارضة السينيمائية وما هو متعلق بالـ"Film" الفيلم، وكذا مع المخرج الأمريكي "Steven Spielberg " ستيفن سبيلرج الذي استهوته الكاميرا السينيمائية المنزلية في منزل والده وراح يصور بها ويطبع ويحمض الأفلام حتى أصبحت السينيما عالمه ليخرج جملة من الأفلام الروائية في هوليوود حققت شهرة عالمية، ولابد من الإشارة إلى إن (هناك علاقة بين التذوق والنقد الفني من جهة وأيضاً بين التذوق والفنان المبدع من جهة أخرى[1]) فثمة خلط قد يكون لدى القارئ لذا ينبغي توخي الدقة.

بشأن الالهام والهيام السينيمائي، فأننا لابد ان نتناول ممن عدّوا الالهام مسألة لازمة للمتذوق في الجمال، حيث (يرى " أفلاطون" أنه يتم بالإلهام و هناك حلقة متصلة من التذوق، ويرى "روسو" أن الذوق هو ذوق أكبر عدد من الناس و هو يقتضي تجميع العوامل الفيزيائية و النفسية و الخلقية و هو مستحيل بدون حكم ناجح، ويرى " كانت" ويعده أكبر رد على القول الشائع لا مشاحة في الأذواق، عندما أراد أن يكتشف الأسس الكلية المختفية خلفه، أن الذوق عنده ليس حكم الوجدان ولكنه وجدان حكم و هو الملكة التي نحكم بها على موضوع ما أو أسلوب ما عن طريق الشعور بالارتياح أو عدمه دون أن يكون للمصلحة أي دخل في هذا الحكم[2])

المتذوق السينيمائي أو الجمالي أو الفني لا يمكن أن يكون بمعزل عن خواص تميزه عن الآخرين كي يكون ذو رأي هام وسديد ومصيب، فالعالم اليوم بحاجة لمن يملك القدرة على التذوق السليم أو الصحيح أو الصائب، لذا فان الكثير يرون ان التذوق يرتهن بقدرات يمتلكها المتذوق سلفا ليكون مؤهلا له، ولعل من الأمور التي يركز عليها الكثير هي الموهبة (لا بد من ملاحظة أن القدرة على التذوق السليم تكون موهبة كموهبة الشعر أو الرسم، وأنها تتضح وتتبلور بالدراسة والثقافة والمران، وليس بحفظ النظريات النقدية ومحاولة تطبيقها وكأنها مقاييس صماء في مادة علمية من العلوم الطبيعية أو الرياضية أو التجريبية، ولهذا السبب فأنت تتقبل ما يبديه ناقد موهوب، وقد تجد فيه روحا من الإبداع أو

---

١ مصطفى يحيى دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1991 , ص١٩

٢ سامي جركس، الفن والمجتمع بين الذوق والتذوق، دراسة منشورة على موقع فنون عبر /fenon.com

من الصدق بينما "في الموضوع ذاته" تنفر مما يبديه ناقد آخر، وتجد أنه لا روح ولا طعم في ما يبديه من ملاحظات أو آراء أو طبقا لما يحفظه من نظريات أكاديمية أو أجنبية سائدة في السوق، فالمسألة إذن مسألة روح وموهبة ينبثق منها النقد فيوجه الأديب أو الشاعر أو قارئ النص يصدق ويتحسس مواطن الجمال أو القبح [1])

وجدت إنه من الجيد أن ننطلق نحو مفهوم للتذوق الفني قبل ان نتناول تفاصيله الدقيقة في السينيما، والتي أسعى أن اجعل من كتابي مختص بتذوق الفن السينيمائي من حيث الجماليات السينيمائية تحديدا، فهناك فرق بين الذوق والتذوق، وهنا ما هو معنيين فيه إنما هو الجمال في السينيما، لذا فإن (كلمة تذوق أكثر ملائمة من كلمة ذوق في إعطاء معنى إدراك القيم الجمالية وتمييزها من خلال المقارنة والموازنة والتفصيل ويرد مفهوم التذوق الفني في كتابات وطروحات فكرية مختلفة، فيأتي بمعنى الإستجابة الجمالية، والإدراك الجمالي[2]).

لأن السينيما فن جمالي بداعي وصناعة وانتاج فهي تتعامل مع جل عناصر الفن، لتشمل وتحوي ضمنا كافة الفنون على اعتبار أن السينيما تكامل ما بين الفنون ونقلها على الشاشة الفضية، فالصورة السينيمائية إنما بمثابة تحشيد إبداعي لباقي الفنون (الصورة في الفلم هي فن عميق الصلة بفنون مجاورة أخرى مثل الفن التشكيلي والرسم والنحت من نواحي تطور الصلة بمكونات الصورة من الخط إلى الكتلة إلى الحجم إلى الملمس[3]) أي إننا سنسعى أولا إلى فهم وترجمة التذوق وحسب ما ورد في المعاجم والقواميس، وهنا سأستعرض جملة من المصطلحات والكلمات التي ترتبط بالتذوق الفني أو الذائقة الجمالية التي أرى أننا معنيون بها أكثر مما لو تناولنا جدلية التذوق والجمال والفن لدى جيوش من الفلاسفة، في دائرة تحتمل التأويل وتحتمل جملة من التفسيرات أو الافتراضات أو المضمرات التي قد تبدأ ولا تنتهي مع دراسات وأبحاث أغرقت المكتبات في وجهات نظر متعددة

١ حسن عبدالرزاق منصور، حروف لا تحترق، امواج للطباعة والنشر والتوزيع، ص٨٦

٢ ماضي حسن، الفن وجدلية التلقي، دار الفتح للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٢٩ ص٤٦.

٣ طاهر عبد مسلم، الخطاب السينمائي من الكلمة إلى الصورة، دار الشؤون الثقافية، بغداد ٢٠٠٥ ص٢١٨.

ومتنوعة يصعب تناولها جميعا لنستشف نحو توافق ما بين المحتجين والمعترضين وما بين أصحاب النظريات والآراء في هذا المضمار الذي قد يكون معقدا لو حاولنا أن نرضي الجميع ونقنعهم في تصور واحد غير قابل للنقاش، لذا سأجهد هنا في عرض معنى كلمة تذوق وربطها في الجمال والفن، ومن ثم سيستشف القاري ما يرنو له وما يتصوره من خلال جملة من المفردات وفق ترجمة أمينة لكل مفردة من المفردات المرتبطة بالتذوق الفني أو تذوق الجماليات والفنون.

توماس أكواينس تحدث عن الجمال، إذ عرفه بأنه (ذلك الشيء الذي إذا ما رأياه يسر، ذلك لكونه موضوعاً للتأمل، سواء عن طريق الحواس أو عن طريق الذهن[١])، نكتشف إن الجمال ما هو إلا ما يسرنا ويبعث في دواخلنا البهجة أو السرور، إنه يجذبنا بحواسنا ومشاعرنا كافة مثل المقطوعات الموسيقية المؤثرة في خلجاتنا، إنها في العادة تكون ممتعة مبهرة لنا شكلا أو مضمونا، أي إن العقل يمكن أن يتمتع بما يلحظ من لوحات تشكيلية إبداعية، أو الأفلام سينيمائية تحمل من المضامين والأشكال التي تؤثر في ذهنيته، لذا من السهل أن يحقق الجمال التأثير طالما إنه يجذبنا نحوه ويبعث في دواخلنا السرور.

علم الجمال يدرس الفن بطريقة شمولية وليس مقتصرة على مجال واحد ولذلك يقوم علم الجمال على البحث في ما يأتي[٢]:-

١. الكيفية التي يتخيل بها الفنانون ويتصورون بها أعمالهم.
٢. الطريقة التي يبدع بها الفنون وينجزون أعمالهم الفنية.
٣. الإستخدامات المختلفة للفن في سائر المجتمعات البشرية.
٤. الكيفية التي يستمتع الناس بها في مجال الفن.
٥. الطرق التي يمكن أن تنتقد وتقوم بها الأعمال الفنية.
٦. ماذا يحدث في أذهان الناس عندما يشاهدون لوحات أو يقرأون شعرا، وكيف يفهمون ما يحبونه أو يكرهونه.

---

[١] اماني غازي جرار، فلسفة الجمال والتذوق الفني، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٢٠ ص٧٤
[٢] المصدر نفسه ص٨٧. ٨٨

٧. علاقة بمعتمد واتجاهاتهم نحو الحياة، وتأثيره على أمر حتهم .

٨. كما لا يقتصر على الجمال على دراسة العمل الفني بل أنه يدرس الجمال في الظواهر الطبيعية والكونية ايضا.

التذوق لا يمكن أن يكون بمعزل عن الجمال والفن، فهو في الواقع انتماء ربما يكون لا شعوري لدى الفرد، لكل ما يتعرض له في حياته من منجزات إبداعية، أو ربما يكون لمواقف أو حركات غير مقصودة تثير انتباهه، كأن يتحرك طفل ما بذكاء ليتجنب سيارة مسرعة بتهور، فيقفز بحركة اكروباتيكية فيرمي بنفسه على الرصيف لينقذ نفسه، أو ما شابه ذلك من مواقف نراها كل يوم.

أغلب الأفلام السينيمائية الناجحة والتي حققت ايرادات من شباك التذاكر كفيلم سوبر مان أو جيمس بوند أو انديانا جونز نرى إن المواقف الجمالية فيها ليس فحسب من اللوحات التشكيلية أو المقطوعات الموسيقية التي يستعرضها الفيلم، بل إن هناك حركات بالغة الدقة يقوم بأدائها الممثل كشون كونري أو هاريسون فورد أو جاكي شان، كي تبدو تلقائية للمشاهد فينبهر فيها، وربما في مشهد "The World Is Not Enough " العالم لا يكفي من سلسلة أفلام جيمس بوند، قد أبهرنا الممثل "Pierce Brosnan " بيرس بروسنان وهو يقفز من النافذ العلوية في الطابق الخامس من مبنى عالية، رابطا نفسه بشريط الستائر كي ينجو من عصابة حاولت قتله، فنرى إن الحركة التي قد تبدو للمتلقي غير المختص إنها طبيعية في الفيلم، نراها تثير اعجاب المتلقين، لا لجمالية التشكيل الصوري، بل لربما للجراءة التي تمتع بها بيرس بروسنان في هذا المشهد البوليسي، فيتمتع المشاهد بحركات وأناقة وطول وجسم الممثل بعينيه الزرقاء، ومن ثم يتولد لديه تعاطف وميل نحو الشخصية المتزنة والهادئة على الرغم من مغامراتها، وعلى الرغم من المشاكسات والتحديات، فالمتلقي يكون قد استمال جماليا وعاطفيا، أي إن الجمال يحقق في أغلب الأحيان الاستمالة العاطفية.

ما هو الفن

يستلزم الحديث عن الفن تناول جدي لموضوعين أساسيين وهما الجمال والابداع، إذ إن الأمر لا يخرج من إن الفن إنما هو منجز ابداعي جمالي يثير العواطف والمشاعر نحو أهداف إنسانية فضيلة، وبمعزل عما جاءت به السينيما من أعمال تحسب على الفن إلا إنها لم تشاطر الفضيلة ولجأت للرذيلة لتحقيق أهداف ومكاسب لا إنسانية، فان الفن يبقى أعلى مرحلة من مراحل الإنسانية والتقدم والتطور، فلقد عمل الفن عبر ما يمتلك من خيال واسع عن كثير من الموضوعات الإنسانية التي تخدم المجتمع، وساهم في تحقيق كثير من التقدم والتطور، بل أنه كان وسيطاً للتعبير عن الحرية ومن الفكر والتنوير، وكان أيضاً ثمرة تربوية في رسم معالم النهج العلمي، وذلك من خلال اللمسات الفنية التي كثيرا ما حفزت المجتمع نحو التعلم والمعرفة.

الفن اختزل كثير من الأفكار وعاد طرحها مجددا وفق رؤيا حداثوية موضوعية، فيسر كثير من الصعاب، لذا فهو يقدم أنموذجاً يحتذي به في حياة الناس، لذا فان الفنان إنما هو عقل مدبر وفكر نيسر يسعى دوما للخير في ايجاد حل لإشكاليات التي قد يتعرض لها الإنسان (الفنان هو العقل الديناميكي للمجتمع وهو القريب من حياة الناس وهو الذي يجد الحلول لكل همومهم ومشاكلهم، ليعبر عنها ويطلق عنان خطواته وألوانه للأبداع، وكذلك هو يستمتع بهذا التفاعل مع ابناء مجتمعه وتقديم كل ما هو جديد ومميز لهم[1]) فالتميز والحداثوية ربما تكون صفة للفن، كونها تبعث البهجة والسرور لدى المتلقين عموما، فالإنسان ميال دوما لكل ما هو جديد وقد لا يرغب بما هو تقليدي أو منمق، وبتناوله ما يأتي من الفنان بعمل متجدد ابداعي، يكون قد نال نوعا من اللذة أو النشوة التي يبحث عنها.

[1] اياد محمد الصقر، معنى الفن، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٩ ص١٣.

تعريف الفن

عرف الفن كثير من الفلاسفة والادباء والمبدعين والفنانين والمختصين في النقد، وجاء بعدد من التعريف التي لابد ان نشير لبعض منها، كي يتوصل القارئ نحو فهم وادراك لما نرمي إليه في إيصال المعلومة،

لم يذكر الفن في قاموس المختار الصحاح، جاء ضمنا مع مفردة ("فنن" أي بمعنى " الفن" واحد من الفنون، و"الافانين" الأساليب وهي أجناس الكلام وطرقه، ورجل مفتن أي ذو فنون١)، ويفهم من ذلك بأن الفن يعود إلى ما يفتن، أي افتن الناس بفنه، فاتن أو فاتنة، وهي كثيرا ما نجدها تستخدم مع الفتاة الجميلة، ونقول هذه الفتاة فاتنة، ومن الاسماء المعروفة في العراق "مفتن" أي جميل فيه فتنة، وربما يفسر البعض على إن الفتنة أمر قبيح، كونها تعمل على تشتت المجتمع وتشظيه، فنقول ان الفتنة هي التي خلقت المشاكل، ونقول إن هذا الرجل مفتون بالأفلام السينيمائية أي أنه مولع بمشاهدة الأفلام أو كل ما يتعلق بالأفلام السينيمائية.

ورد الفن في قاموسي ويبستر واكسفورد على أنه (عبارة عن مجموعة متنوعة من الأنشطة البشرية في إنشاء أعمال بصرية أو سمعية أو أداء "حركية"، للتعبير عن أفكار المؤلف الإبداعية أو المفاهيمية أو المهارة الفنية، والمقصود أن يكون موضع تقدير لجمالها أو قوتها العاطفية٢) وورد أيضاً في المعجم الجامع بانه جملةُ الوسائل التي يستعملها الإنسان لإِثارة المشاعر والعواطف وبخاصة عاطفة الجمال، بينما عرف الفن تولستوي على أنه (ضرب من النشاط البشري الذي يتمثل في قيام الإنسان توصيل عواطفه للآخرين)، وكذلك عرفه على أنه (الفن هو ذلك النشاط الذي يظهر الجمال[٣]) في الوقت ان " جيروم ستولينتيز" عرفه على إنه (المعالجة البارعة الواعية بوسيط من أجل تحقيق هدف ما)

ورد الفن أيضاً كما عرفه هربرت ريد على إنه إبداع الأشكال وأنماط جديدة.

---

[١] محمد الرازي، المختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٨ ص٥١٣.

1. "art". Merriam-Websters Dictionary. من مؤرشف الأصل ٢٠١٩ في ٣٠ أغسطس.

[٣] ليف نيكولافنج تولستوي، ما هو الفن، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩١ ص٢٠.

الفن: هو إحدى المظاهر السلوكية لدى الكائن الإنسان، وهو من أبرز النقاط التي رافقت الإنسان منذ أن نشأ على سطح الارض. الفن: هو ترجمة مرئية لسلوك الإنسان ونتاج تفاعله مع المحيط الذي يعيش فيه. الفن البدائي: هو ترجمة لحاجات الإنسان الأول ولسلوكه البدائي. الفن: هو إعادة لترتيب وتنظيم المشاعر والمفاهيم بطريقة تجعلنا نحسُّ بالسرور والارتياح والقناعة لدى مشاهدته أو انتاجه. الفن بالنسبة لعلماء الانثروبولوجيا: هو مزيج من السلوك الإنساني الطبيعي ومن التكنولوجيا التي يرثها عن الآخرين. الفن بالنسبة للإغريق والرومان: إنتاج فني يؤنس النفس في عزلتها ويبعث على التفاؤل والحيوية لما فيه من أشكال جميلة ذات معنى.

(الفن هو السعي إلى وراء ابتكار وعمل شيء خاص وفردي، فهو الشخص الوحيد الذي لا يتكرر، وهو الشيء السري المبهم الغامض، هو الحس الداخلي من الشخص بحيث ان لا احد يستطيع ان يراه، الفن هو العبقرية[1]).

الفنّ قديما تم تقسيمه إلى سبعة أقسام وهي، "نحت/عمارة"، "رسم/زخرفة"، "تلوين تمثيلي/تلوين صرف"، "موسيقى تعبيريّة أو وصفيّة/موسيقى"، "إيماء/رقص"، "أدب/شعر"، "سينما/إضاءة".

لكن حديثا فقد قُسم إلى ثلاثة أقسام شاملة هي:-

الفنون التشكيلية، مثل: (الرسم، التصوير، الخط، التصميم، فنّ العمارة، النحت، الفنون التطبيقية، الأضواء).

الفنّ الصوتي، مثل: "الموسيقى، الغناء، عالم السينما والمسرح، إعلان، الشعر، الحكايات، التجويد والترتيل".

الفنّ الحركي، مثل: "الرقص، السيرك، الألعاب السحرية، بعض الرياضات، البهلوان والتهريج، مسرح الميم، الدمى".

سوزان لانجر في كتابها "الفلسفة بمفتاح جديد" تقول (إن الفن العظيم ليس مجرد لذة حسية مباشرة، والا لوجد استجابة مرضية لدى العامة قبل الخاصة، وليس من شك في أن

[1] لميس مالك سعيد، الفنون الجميلة، دار الجنادرية للنشر، عمان، ٢٠١٥ ص ١٣.

كثير من الاتجاهات الفن المعاصر قد أصبحت شاهدا واضحا على قلة اهتمام الفنانين بتقديم أشكال سارة أو نماذج جميلة، مما يضعف حجة القائلين بأن الفن هو مجرد متعة أو لذة[1]).

في كتاب تربية الدوق الجمالي، يبين لنا مؤلفه ان الفنان يمتلك حسا خاصا وفق تناول جاد لتقديم منجزه الابداعي، فيذكر (إن الإلهام هو نوع من الضوء أو الشرارة التي لشخص معين الطريق الغامض، وحينما يظهر هذا الضوء ويتناوله الفنان بالرعاية، فإنه حتماً سيوصله إلى الكشوف النادرة التي يصل إليها[2]) للفن قوة تفوق كل القوى التقليدية التي نسمع عنها، فهو ليسا جمالا فحسب نتمتع به، بل إن تجليات ترافقه، كثيرا ما تحقق تغييراً أو انحيازاً وميلاً، هذا الأمر يشكل قوة ضاغطة لا يمكن توقعها بسهولة، فأتذكر إن إحدى الفتيات من المعارف طلبت مني كاسيت البوم لكاظم الساهر في تسعينيات لقن الماضي، كان قد صدر حديثا حينها، ورافق اصداره حملة اعلانية تلفزيونية كبيرة، وقد اشتريته لها وسلمته، وقالت انتظر سأجلب لك ثمنه، ويبدو ان الفتاة قد طلبت من أمها المبلغ، وأمها رفضت كونها لا تحب الغناء، وبينما كنت انتظر قرب الباب عندها سمعت صراخ الفتاة وبشكل هستيري، وكان أمراً ما قد مس حياتها مع رفض امها، وبالطبع الام رضخت في نهاية الأمر مع اعتراض الفتاة، ولكن استغرابي حينها فاق ما كنت اتصور، إذ عرفت الفتاة هادئة جداً وحليمة وكثيرا ما كانت تتحدث بهدوء وهي المثقفة والواعية بدماثة أخلاق عالية، كيف تصرخ بهذا الشكل مع مطلب لكاسيت؟ تيقنت حينها ان الولع والهيام بالموسيقى بنى عقيدته عبر الفن، فهو القوة الكبيرة داخل الإنسان، لذا فأن أكثر القوى الإمبريالية، نرى إنها تستعين بكبرى الفرق الموسيقية لخلق الفجوة وتستعين بأعظم شركات الانتاج السينيمائي لإنتاج أفلام ايديولوجية تحقق الاقناع لدى المتلقين.

لقد هاجمت هوليود القائد الألماني الرايخ اودولف هتلر بجملة من الأفلام السينيمائية، فتارة تستعرضه على إنه مجنون وتارة أخرى بانه شاذ جنسيا ومرة أخرى مريض نفسيا،

[1] عادل مصطفى، دلالة الشكل، مؤسسة هنداوي للنشر، المملكة المتحدة ٢٠١٧ ص٢٧.
[2] محمود البسيوني، تربية الذوق الجمالي، دار المعارف، مصر، ١٩٨٦، ص، ٤٠

بينما لو كان الأمر واقعيا كما ظهر في الأفلام الهوليودية فلا يمكن لنا ان نصدق بأنه أرعب العالم واحتل اقوى الدول، إذ سحقت دبابات هتلر باريس وبولندا والمجر وهولندا والديمنارك والنمسا ويوغسلافيا واليونان وليتوانيا وفلندا إلخ، ونكتشف ان السينيما قد نالت منه ما نالت في الوقت ان هتلر في واقع الأمر ليس كما استعرضته الأفلام، فالعالم اليوم يكره هتلر، كون الاعلام يعاديه، وإن أغلب الاعلام ما هو الا وسيلة تعتمد على مجموعة من الفنون البصرية والسمعية لتحقيق التأثير في المجتمع، وهذا الأمر في الحقيقة كان قد أكده الكسندر اليوت في كتابة آفاق الفن عندما ذكر (لا نابوليون في غزوه روسيا ولا تولستوي في كتابته و الحرب والسلام، كان لديه من القوة ما يجعله يحقق بالضبط ما يبغيه من مشروعه ومع ذلك، فقد كان تولستوي أنجح الاثنين، وكان يعرف ذلك، قال الشاعر الأمريكي روبرت فروست : « ان كنت تبحث عن شيء تبدي فيه بسالة، فتأمل الفنون الجميلة" هذا دافع لم يعط حتى الآن حق قدره، فأعمق مجرى للغرائز القتالية وارادة القوة ليس الرياضة، ولا الحرب، بل الفن . وأكاليل غار الفن باقية[1]).

باقية[1]).

لا شك إن هناك أهمية بالغة للفن والا لما كانت هناك منزلة مميزة للفنانين، بل لما كانت الأعمال الفنية تصل أسعارها إلى ملايين الدولارات كلوحات بيكاسو أو دافنشي وباخ إلخ، أو كما هو الحال مع كبار نجوم السينيما من ممثلين ومخرجين ومؤلفي موسيقى، حيث تصل أجورهم إلى مبالغ كبيرة جدا.

أهمية الفن: تكمن أهمية الفن منذ القدم في الاكتشاف والتسجيل، الفن هو خير طريق لمعرفة الوازع أو الحلم الذي يدفع الإنسان نحو الأفضل. إنَّ للفن أثر على التاريخ، إنَّ الفن معياراً للتعبير النفسي العميق، يعد الفن هو ما يربط معرفة ما كان وما قد يكون بين الماضي والحاضر.

[1] الكسندر، افاق الفن، اليوت ترجمة جبرا ابراهيم جبرا، طبعه ثالثة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٢ ص٤٦.

الموقف الإستطيقي.... ذلك التأمل نحو الموضوعات الجمالية أو موقف نحو موضوع ما يثير الاهتمام والرغبة في المتابعة والترقب نحوه وبصورة منزهة عن الغرض، أي دون منافع مادية أو دون تكليف من شخص ما، في مراقبة ومتابعة الموضع، بل هو من صميم ورغبة المتلقي لذلك الموضوع الجمالي، والمتذوق لابد وأن يتسم بالقدرة على أن يتعاطى مع الموقف الإستطيقي بكل جدية، كون ان المتذوق لابد وأن تكون له جملة من المواقف الإستطيقية التي يتعرض لها دون موعد مسبق، بل تكون في بعض الأحيان من قبيل الصدفة، كأن يرى مشهدا من المشاهد وهو يمر في أحد الشوارع وعلى الرصيف مزروعات أو زهور أو راي بعض التخطيطات البارعة على الجدران، أو كان يجلس بأحد المقاعد في قطار، فيلتقط المنظر ويتأمله وفق تعاطف غير منفعي، وهي كثيرة للغاية، قد تبدر من طفل يجلس بمقعد امامه وهو يداعب قطة مثلا، أو ان يرى فلاحاً يمسك الة زراعية "مسحاه" ويضعه على كتفه واقفا وسط جمع من الركاب متلثما بغترة ذات ألوان زاهية، بينما يحاول أن يتهرب من دخان سيجارة بيد شاب بجانبه، دون ان يقدر ودون جدوى لزحمة القطار ولكنه يصبر بتذمر، لنرى أن المتذوق يتمنى لو أن لديه كاميرا كي يلتقط الموقف، ويوثقه، أو أن لديه فرشة كي يرسم الموقف الذي تعرض له.

أصل كلمة "إستطيقا" مشتقة من الكلمة اليونانية "aesthesis" وتعني إدراك، ومن ثم تم اعتمادها على نحو ابداعي لتكنى بعلم الجمال "الإستطيقا" كفرع من فروع الفلسفة الذي يهتم بطبيعة الجمال والفن و الذوق وإبداع والتقدير الجمالي، أي اننا نتذوق الجمال عبر مواقف إستطيقية، فنحاول جاهدين ان نتمتع بما نتعرض له، وبالواقع ان الأمر يتطلب ذكاء وفطنة ونباهة في ان نكون مخيلة ووجهات نظر وتأمل وتوقف وتعاطف شعوري أو لاشعوري أحياناً مع بعض الأعمال الفنية، والأمر لا يتوقف عند حالة أو تخصص أو ميدان من الميادين كما ذكرت، بل من الممكن ان يكون في أي لحظة وباي مكان طالما إن الذائقة وقادة وتلتقط كل ما هو مثير يستحق التأمل والانتباه والتركيز، لخلق الراحة النفسية أو المتعة بل ويجلب أيضاً الطاقة الايجابية للإنسان.

التطور التكنولوجي كثيرا ما خدم الموقف الإستطيقي الذي كان في السابق قاصرا على الرسم في تدوين ما يتعرض له المتذوق أو الفنان أو حتى الناقد، ولكن من ظهور أجهزة التسجيل التي توثق لنا المواقف، أصبحت عملية التذوق بوضع آخر يشجع على التقاطه، إذ نرى اليوم ملايين الفيديوهات التي يلتقطها المتذوقون عبر موبايلاتهم الشخصية، وهذا لا يعني ان كل ما نصوره إنما يمثل موقفا إستطيقيا، بل إن الأمر يتعدى ذلك بأن نتحمس نحو موقفا نشعر بانه مهم ونادر وجدير بالتوثيق، وهكذا.

قد يتسأل أحد عن معنى صريح نحو المفردة "إستطيقا" وهنا نشير إلى إن المصادر العلمية قد دونته على أنه تناول الاحاسيس والجدان والمشاعر ذات الأهمية والمغزى الجمالي، وعلى الرغم من ان أصل الكلمة كان عند اليونانيين لما هو طريف أو ربما ضمن اهتماماتهم في الكوميديا "السخرية" كنوع من الـ "Entertainment" اي الترفيه حينها، كون انها تمثل عملاً ابداعياً ولاسيما في المسرح، (أول من فرق بين علم الجمال والمعارف الإنسانية بومغارتن أطلق على علم الجمال لفظ «الإستطيقا» وذلك عام ١٧٥٠م، هذا اللفظ يعود لتاريخ اليونان قصد به العلم المتعلق بدراسة الحس و الوجدان وهو لفظ يشير إلى ادراك موضوعات طريفة والتطلع إليها، ليس في وسعنا أن نقدر قيمة عمل فني في ذاته إلا إذا أدركناه بطريقة إستطيقية[1]) الطريف ليس بالضرورة ما يثير التهكم والسخرية، الطريف ربما نقول ان الشخص طريف أي إنه لا يميل إلى الكدر والحزن، بل يُبسِط الأمور ولا يستصعبها، الاهم ان هناك اهتمام أو حضور للموضوع الجمالي أو الإستطيقي الذي نتحدث عنه، الإستطيقا في معناها العين تكسر في المعرفة التي تطلب من أجل المدة الصادرة عن اللغة المبادرة حدث المعرفة ذاتها، فهي نظم على الأشياء المالية للمعرفة وكل السنوات القادرة على المعرفة التربية والاعتباط بهذه المعرفة[2].

تعد الإستطيقا من احدث فروع الفلسفة والتي تضم، علم المنطق Logic، الغيبيات أو المتافيزقيا – ما وراء الطبيعة metaphysics، علم المعرفة epistemology، وعلم الأخلاق ethics،

---

[1] اماني غازي جرار، فلسفة الجمال والتذوق الفني، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٢٠ ص٨٥

٢ انظر المصدر نفسه ص٨٤.

علم الجمال أو الإستطيقا aetnsetics، ومع ذلك فإن هذه الفروع لها جدورها في الفلسفة الإغريقية، وقد تحدث عنها أفلاطون ومعاصريه، إذ كانت أحكامهم عابرة وسريعة تدور حول ما يجب أن يحسه ويقدره.

بناء شخصية المتذوق

التذوق الفني عامل أساسي في تكامل شخصية طالب الفن الذي يسعى إلى إن يبني ذائقة مميزة تعينه على تميزه من خلال العمل التي ينجزها والتي ستعتمد حتما على الممارسة العملية في اتمام كثير من الأعمال التجريبية أو الاحترافية أيضاً، إذ ان التجربة والعمل وفق التخصص والادراك المعرفي والمهني أيضاً إنما يشكلان عنصر ثقة لدى المتلقي تنتقل من ممارساته وملاحظاته ومتابعته إلى المتلقين لما يحقق كالقيم والمفاهيم والمضامين الفنية المدروسة، كي يعتد بها، كونها مواقف نحو نتاجات فنية ذات قيمة، ربما تكون رصيد له لتحسين أدائه وتطوره في عمله الذي حتما سيستمر في تصاعد جمالي وقيمي وفقا لما يمتلك من خبرة.

قدرات غير نمطية يتمتع بها المتذوق تؤهله لأن يكون قادرا على تحقيق اللذة الجمالية ومن ثم يكون ذو شأن ومنزلة في الرأي والطرح، أو أن يستحق ان ينعت بالمتذوق مثلا، ولعل من بين أهم تلك الأمور أن يتسم بإمكانية ايجاد روابط وعلاقات ما بين الاجزاء المكونة للعمل أو ما بين جل العمل وأعمال أخرى، وهذا الأمر يحتمل أن يتميز المتذوق بالفطنة والفراسة أو الذاكرة الوقادة التي من شأنها ان تخلق لديه بديهيات لكثير من الأمور التي يتعرض لها خلال مسيرته الحياتية (قدره المتذوق أن يقوم بالربط بين العمل الفني الذي يتلقاه والحياة اليومية المعاشه بمعنى آخر هو قدرته على أنسنة العمل الفني، وهذا أمر ليس ميسورا بل يحتاج لمهارات وتدريبات خاصة.... فالرائي يقف أمام صوره مثلا، وفجأة تراه يتذكر من خبراته الماضية مواقف يجد بينها وبين هذه الصورة الماثلة أمامه وجها من الشبه، فيصف الصورة بنفس الكلمة التي يصف بها تلك المواقف المألوفة في حياته اليومية. كان

يقول مثلا: أن في هذه الصورة "رشاقة" أو أن فيها "حرارة" أو فيها "حركه" وهكذا[1]) إذ إن القدرة على اكتشاف الفرق أو المقارنة ما بين أمر ما وآخر يعد من الخواص التي لابد ان يتمتع بها المتذوق الجمالي، فمقدار ما تكون للمتذوق القدرة على إيجاد الشبه بين الصورة وبين أشياء الحياة الجارية المألوفة في أمثال هذه الصفات الجمالية، تكون له القدرة الذوقية، ومن ثم قد يكون مميزا ومن النخبة التي تدرك وتقيم وتقدر الفن أو الجمال، والواقع هذا الأمر نراه جليا مع من استطاعوا على سبيل المثال مشاهدة أكبر كم من الأفلام السينيمائية في صالات العرض، ويمتلكون تطلع أو ثقافة نحو الموضوعة السينيمائية.

عبر ما استعرضنا فيمكن القول ان المتذوق ليس بالضرورة فنانا منتجا للأعمال الفنية أو الإبداعية، بل هو يحمل من الصفات والمزايا ما تؤله لان يتحسس أو يتأمل ويتخيل وفق وجهة نظر أو رؤيا كثيرا ما تكون متوافقة مع ما يذهب له الفنان الخالق المبدع للعمل الفني، فالتذوق يكون مرافق مع الفن والجمال ويكون بخانة تؤهله للتقييم أو الحكم والتثمين لأي عمل يتعرض له، وبالتالي هناك روابط وعوامل مشتركة ما بين المتذوق والفنان، حتى يصل الأمر إلى إن يتقدم ويتطور المتذوق وفق مراتب تؤهله لأن يكون ناقدا، لذا فأن التذوق كثيرا ما يشارك الفن في آرائه أو توجهاته، كون إن المتذوق يمثل الصفوة، أو النخبة التي بالتأكيد تراعي وتنظر وفق منظور موضوعي غير منحاز، بل حيادي، وهذا ذات صفات الناقد السينيمائي أو الفني.

من بين أهم السمات التي لابد ان يتمتع بها المتذوق، القدرة على التحليل البصري، اي ان تكون له خاصية بصرية تعينه على التمييز أو التوازن أو اكتشاف العلاقات والروابط أو الاختلافات ما بين اجزاء أو كتل أو حتى بنية متكاملة بالمقارنة مع أخرى، إذ إن النظرات التي يتمتع بها المتلقي هي غير التي نعتاد بها على رؤية الاشياء يوميا، بل إنها افتراس وحدس واقتناص وترصد وتأمل واستغراق في اكتشافات متعددة ومتنوعة، وهي ما يطلق عليها بالتقبل البصري، أي أن يتقبل بصريا أولا قبل أن تكون له احكام مسبقة أو عقد ذاتية، تحيد من عمله كمتذوق جمالي، وتذكرنا اميرة حلمي مطر هنا مع هذا الجانب الذي

[1] حسن يوسف طه، النقد والتذوق الجمالي، بيت الياسمين للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠١٢ ص٣٨

تؤكده لنا إن من بين أهم سمات المتذوق (سمات ومراحل التقبل البصري الفني: أن العمل الفني لكي يكون ناجحاً في التأثير، لابد من أن يستند على عوامل ومبادئ يستجيب لها الجمهور المتذوق. وأول هذه المبادئ هو مبدأ الوحدة العضوية في العمل الفني [1]) فبصيرة المتلقي لها امكانية الفرز أو الاحكام أو الربط والتوزان لأي موضوع يتلقاه، أو ربما يحاول ان يخلق التوافق بين الأشكال المختلفة، من خلال إحساسه بالأيفاع ما بين عناصر بنية العمل، أي الانتقال من أجزاء أو وحدات رمانية إلى أجزاء لاحقة تتخللها فترات أو سكون، أيضاً الرؤية البصرية بعينه في أن يتلمس أو يتحسس أنواع عدّة من الحركة والتنوع وارتباطها مع مكونات أخرى أو كتل وأشكال مناظرة في العمل ذاته.

المتذوق كثيرا ما يكون في حلقة تواصل مستمر مع ما يتعرض له من موضوعات تثير الحالة الإستطيقية لديه، وذلك عبر ديناميكية ذاتية تنشأ في رغبته أو ربما ولعه وحبه للموضوعات الجمالية، ومن ثم نراه في حركة مستمرة ومتابعه مستفيضة لأي عنصري جمالي يمكن أن يستفزه على الاقل أو يثير مشاعره وأحاسيسه، ليكون في حالة من الالهام لأي من الوحدات الجمالية في العمل.

لابد ان تكون صفة أو حالة من التوقف مع ما يتعرض لتكون بذلك عامل مهم للتذوق في أن يحقق التأمل والاستغراق للموضوعات الجمالية، فالتوقف، إنما يتولد لدى المتذوق بمجرد ان يتحقق لديه أدراك حسي لأي عمل فني ناجح، للتولد على اثر ذلك حالة من الشد والانتباه للمشاهدة، وبطبيعة الحالة إن مثل هذا الأمر لابد أن ينعزل المتذوق في عالمه وأن تكون له فسحة في التأمل والتعاطف أو التأثر ومن ثم الاستغراق في الامتاع البصري أو في التحليل للوحدات كان يعمل على تفكيك البنية إلى جزيئات ومن ثم اعادة ربطها وفق منظومة إبداعية، وكل هذا يتم في ذهنه ومخيلته وإدراكه للعمل الذي هو في صدد تذوقه.

ربما تكون الحالة الوجدانية التي يذهب لها المتذوق في اكتشاف كثير من الميولات الذاتية عاملا آخر يشجع على الاستجابة الجمالية، بل يتوافق في بعض الأحيان وتطلعاته أو رغباته ولذاته، في التعاطف والوجدان حالة ملزمة للمتذوق كونها تمثل مرحلة مهمة جدا في

[1] انظر أمير حلمي مطر، فلسفة الجمال: اعلامها و مذاهبها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥.

الوعي والشعور، وقد لا تكون توافقية في بعض الأحيان مع ما يذهب له العقل، كون إن العقل في كثير من الأحيان يرشد المتذوق وفق أهمية وربما نفعيه، في الوقت ان التأمل والوجدانية والتعاطف غالبا ما تجعل المتذوق عاشقا وموالعا بل هائما بكل شكل جمالي أو بنية أو منظومة جمالية.

السينيما ... الذائقة الفائقة

فيالق من المبدعين والمختصين بالفن البارعين الماهرين، يتم انتخابهم من بين الآلاف أو ربما الملايين من الحرفيين والمهنيين، يطرزون لوحات إبداعية من أشكال وخطوط ونسيج والحان وإيماءات وحركات وخدع وإبهار، نحو أعمال فيلمية طالما غمرت نفوس المشاهدين والمجتمع عموما، في تحف سينيمائية ظلت عالقة في أذهان كثير من المتلقين ورواد السينيما، وأذهان كل واحد من أولئك له خصوصية ورؤيا ونظرة وتأمل وربما موقف خاص به، يعملون في بوتقة واحدة من اجل تحقيق مشروع قد يبدو للوهلة الأولى حلم، سرعان ما يترجم إلى مشهدية بتدرج وفق مخططات وجدولة وتنظيم متقن على سبيل تقاليد وانماط من العمل الجاد والمتابعة والحرص وما إلى ذلك من عناية فائقة في تحقيق كل جزء من مكونات منظومة الفيلم، التواصل والتشاور والعصف الذهني ما بين اولئك المبدعين، قد تتحكم فيهم ذائقة وخصوصية جمالية لازمة لكل واحد منهم في تفاوت وتنوع وتعدد في الآراء ووجهات النظر، إلا ان المتيقن من كل اولئك هو القائد للعمل الذي فضل التعامل مع كل واحد منهم حسب ما ارتأى نحو متطلبات نهج عمل وصناعة طالما سار عليها كبار المخرجين وعمالقة السينيما، كي تحققوا الاحلام التي نتحدث عنها والتي ستتحول قريبا إلى مشاهد مجتمعة في فيلم سيميائي عالمي ذو انتشار واسع، كفيلم الوصايا السبعة أو فيلم العراب أو المواطن كين أو من اجل حفنة من الدولارات أو سلسلة أفلام جيمس بوند أو سلسلة أفلام حرب النجوم وكذا مع قوائم عديدة لأفلام سينيمائية خالدة.

أغلب المخرجين العمالقة كفرانسس فورد كوبولا أو اورسون ويلز أو شارلي جابلن نجد حياتهم مفعمة بالتقصي والمواهب المتعددة والتجارب النادرة والابتكارات والأفكار المتجددة وربما تكون محاطة بنوع من التحديات والقسوة، وهو ما يدل على ان المجد يتطلب جهودا استثنائية ولا يأتي من قبيل الصدفة أو الاحتيال والنصب، كما يسعى له البعض في الفنون المزيفة وفي الادعاءات الباطلة، ممن سلقوا الفن على اكتاف الضعفاء والانتهازيين، أو عبر علاقات مشبوهة وارتباطات ايديولوجية، حتى باتوا بمنزلة لا يحسدون عليها، بل إن البعض كان بمثابة علامة في تاريخ الفن السينيمائي وما حصد من فرص قل نظيرها في تحقيق أفلام سينيمائية تخلده كمخرج عالمي، إلا أنه أخلد إلى الأرض ليكون ملتمعا أمام زمرة من السذج في دوائر الايديولوجيا أو السلطة، ثم يموت تاركا إرثا مخزيا لا يمكن حذفه من التاريخ الذي لا يرحم، لذا إنها دعوة في تربية الذائقة والذوق والإحساس الفني والجمالي، كي يكون عند حسن الظن أمام الجميع وليس أمام حقبة زمنية تتحكم فيها الدكتاتورية أو والمافيات السلطوية، بل على الفنان أن يكون اسما لامعا لكل العصور والأجيال، تتحدث عنه بكل حيادية عن إبداعاته التي تكون بالعادة منجزات على أرض الواقع.

يمكن أن نحدد تعريف وافي للتذوق الفني على إنه التأمل والتعاطف بموقف ما من المواقف التي نتعرض لها، يحقق الاستجابة نحو الموضوعات الجمالية، دون منفعة أو غرض، وذلك وفقا لطبيعة الإدراك الجمالي والتقدير الجمالي والفني، والذي يتولد مع تنامي الإحساس من اعماقنا كمعنيين بالتذوق الجمالي أو الفني، وبالتالي ينشب لدينا موقف جمالي يمكن ان يتطور إلى حكم جمالي، للموضوعات التي تستحق التأمل أو التعاطف والاحساس، كما هو الحال مع كثير من المتذوقين للجمال والفن (للوحة



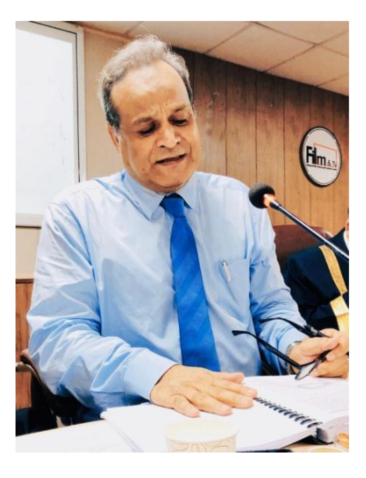
"Leonardo-Da-Vinci-Mona-Lisa-La-Gioconda"

ليناردو دافينشي "جيكوندا- الموناليزا" والتي تكاد تكون اشهر صورة في العالم، وان ابتسامتها الهادئة الحلوة وتصوير يديها خصوصا اليد اليمنى من معجزات المصورين[1]) فهناك جملة من الأسرار التي تجعل من هذه اللوحة مميزة وذات قيمة عالية عند أغلب المهتمين والمختصين بالفن، بل حتى لدى بعض غير المعنيين بالفن والتخصصات الجمالية الدقيقة، إذ يرى من المختصين إن بعض المعالم في هذه اللوحة إنما تثير الفضول لدى الكثير، بل إنها تخلق هيام وولع كثيرا ما يبحث عنه السينيمائي في عمله الفيلمي.

هناك تكوين سينيمائي ربما يكون متكامل سينيمائيا مع لوحة الموناليزا من ناحية التكوين والعناصر المرئية والأفق الذي نراه خلف الشخصية وفق محاكاة جمالية لطبيعة مؤثرة، كثيرا ما تماشت بسلاسة وطبيعة موضوع اللوحة عموما، على الرغم من ان اللوحة كانت وفق "Aspect Ration" أي منظور وأبعاد ليست سينيمائية، أذ إن طبيعة العمل "Portrait" أي إنه عمودي وليس افقياً كما مع السينيما التي تعتمد المنظور الافقي "Landscape" إلا إنها تحمل من الخفايا التي تحقق التأثير والانتشار الواسع، (إذ تظهر الفتاة في الصورة وذراعيها مطويتين وهي تنظر إلى الشخص الذي يقف أمامها وتبدو وكأنّها تبتسم له بهدوء؛ والطبيعة الغامضة والجذابة لابتسامتها والتي تُحفّز المشاهدين لمحاولة فهم وتخمين أسلوب ومقصد الفنان الذي قام برسمها تُعدّ أهم سمة جمالية لهذه اللوحة[2]) وهنا نلاحظ أن الطبيعة الغامضة التي تناولها الاقتباس شكلت سمة جمالية للوحة الإبداعية، والواقع إن أغلب الأعمال السينيمائية تعتمد الغموض والمفاجأة والابهار لتحقيق النجاح الفيلمي الذي نتحدث عنه، ولو ركزنا في الموناليزا لوجدنا أن هناك تفاصيل غامضة بحاجة إلى تأمل وامعان وموقف من المتلقي، كي يستغرق كثيرا فيها ومن ثم يتعاطف معها جماليا، لتتحقق لديه نوع من

[1] أسامة الفقهي، جولة في فن وتاريخ التصوير الزيتى، مكتبة الانجلو المصرية ٢٠٠٣ ص٤٥.

[2] Kelly Richman Abdou (2019-6-15), "The History and Legacy of Leonardo da Vinci's Mysterious 'Mona Lisa'"،



الأستاذ الدكتور عبدالباسط سلمان

مواليد بغداد، أكمل دراسته البكالوريوس والماجستير والدكتوراه في السينيما والتلفزيون، نال شرف الـ "Post Doctorate" ما بعد الدكتوراه من الجامعة الأمريكية ومعهد السينيما العالي عام ٢٠٠٨ حول ديجيتال الإعلام والسينيما، نال لقب فل بروفيسور "الأستاذية" من جامعة بغداد عام ٢٠١١ اشرف على أطاريح الدكتوراه ورسائل الماجستير، شارك بعشرات المؤتمرات العلمية، آخرج عدد من الأفلام الروائية والوثائقية، هو مدرس وكاتب للسيناريو منذ خمسة وعشرون عام وقام بتأليف ثلاثة وعشرون كتاب منهجي وعلمي يدرس البعض منها بالجامعات والمؤسسات التعليمية داخل وخارج العراق، واهم كتبه: التشويق ورؤيا الإخراج، عولمة القنوات الفضائية، سحر التصوير، الإخراج والسيناريو، ديجيتال الإعلام، التكنولوجيا الإعلامية الفائقة، التصوير الصحفي، السيناريو والنص، تصميم وعمل المواقع الالكترونية - كتيب المراسل الصحفي، التصوير السينيمائي والصحفي المحترف، لغة الفوتوجراف وتصنيع الفيلم، الناقد السينيمائي المعاصر، علم التصوير السينيمائي- ترجمة كراسات وبروشورات لتطوير النشر الالكتروني، سينمتوجرافيا المونتاج، أسس ونظريات المونتاج الفيلمي، سايكو السينيما، محاضرات في السيميلوجيا.

أشرف على عدد من المشاريع العلمية، وله عدد من المشاركات والأعمال الإبداعية، كرئيس مشروع دخول جامعة بغداد بموسوعة جينس العالمية، ومطور موقع جامعة بغداد الالكتروني لتتفوق على أكثر من ١٨ ألف جامعة في الويبومتركس بعد أن كانت الجامعة خارج التصنيف، إقامة معارض فوتوجرافية ومهرجانات أفلام، عمل مستشار وزير العمل والشؤون الاجتماعية، عضو مؤسس لقناة الجامعية في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، والمستشار الإعلامي للمنظمة العالمية الكشفية – الإقليم العربي ٢٠٠٨-٢٠١٥، مخرج لأكثر من ١٢٠ فيلم وبرنامج وثائقي و"Motion Graphic" موشن جرافك، ومخرج لثماني مسرحيات وأوبريت.

للتواصل مع مؤلف الكتاب د. عبدالباسط سلمان

abs@uobaghdad.edu.iq – balik692000@yahoo.com

أو على الفيسبوك Abdulbassit Salman



View publication stats